كان من الحقيقة في الصميم. أما أن الموت يلازمه تفكّك وانحلال في الخلايا التي تتكوّن منها الأجساد فليس في ذلك ما ينفي أن الحياة التي سكنت تلك الخلايا ردحاً من الزمن لا تستطيع الرجوع إلى خلايا مماثلة ردحاً آخر من الزمن.

ليس من ينكر أن الطبيعة رفيقة وحكيمة إلى أبعد درجات الرفق والحكمة عندما تفرض علينا النوم فرضاً. فهي إذ تلفّنا بغيبوبة النوم لا تعطّل فينا الحياة بل تعطل أعصابنا وأفكارنا ومشاعرنا عن المضي في ما كان يجهدها ويرهقها في حالة اليقظة كي تستفيق وقد استردّت توازنها وقواها ومضاءها لاستئناف أعمالها. فكيف نقول في تلك الطبيعة عينها إنّها فقدت رشدها وحكمتها وانقلب رفقها شراسة وحلمها جنوناً إذا هي لفّتنا بغيبوبة الموت؟ ثمّ كيف نقول إنّها عطّلت الحياة فينا؟ وهل للحياة أن تُعطّل الحياة؟

لعمري إنّها الحكمة التي ما بعدها حكمة أن تكون الحياة وقفة فوثبة ـ سكرة فصحوة ـ هجعة فيقظة ـ ولادة فموتاً ـ نموّاً فانحلالاً. وهل من يستطيع أن يصوّر لنفسه عالماً كلّه حركة بغير سكون، ويقظة بغير هجوع، وولادة بغير موت، ونموّ بغير انحلال؟ إذن لكان في مستطاع نبتة واحدة من الفطر أو اليقطين، وفي مستطاع برغوث أو